مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 5 (رت 74) السنة: 2023

التجديد البلاغي في كتاب" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" للرازي(ت606هـ)

Rethoric renewal in the book of « nihayat al'iijaz fi dirayat al'iiejazi » by Al-Razi(606 .d)

بولحجار علي[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
مخبر الدراسات اللغوية والقرآنية
boulahdjaralidz25@gmail.com
أ.د أحمد كامش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
Kamecheahmed86@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/19 القبول 2023/05/15 النشر على الخط 2023/09/15
Received 19/04/2023 Accepted 15/05/2023 Published online 15/09/2023

ملخّص

تطور علم البلاغة عبر مراحل أسست من خلالها قواعده وانضبطت أصوله وفروعه ،ولقد تجلت كل مرحلة منها عن كوكبة من العلماء والدارسين أسهموا في تطوره وتجديد مناهجه، ومن أهم هذه المراحل تلك التي انتقل فيها الدرس البلاغي من الذوقية إلى التقعيد والتقنين من خلال علاقة التأثير والتأثر بالعلوم العقلية كالفلسفة والمنطق وغيرهما. ومن أبرز علماء هذه المرحلة فخر الدين الرازي وكتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، الذي اعتمد فيه على بيان الصورة البيانية بعيدا عن الإيجاز المخل والإطناب الممل والموسوعية المرهقة، معلنا عن بداية منهج تجديدي لعلم البلاغة.

الكلمات المفتاحية: الدرس البلاغي –الإعجاز–فخر الدين الرازي–الإيجاز.

Abstract :
The science of rhetoric has developed through stages , which established it's rules,and adjusted it's origins and branches,and each stage showed up a group of scholars and students constribeted in it's developed and renewal,of the most important of this stage wich the rethoric lesson moved from tasting into rule making,from the relation of impact and affected by the mental sciences like philosophy and logic …, and the most important scholars of this stage: fakhr al-Din al –Razi,and his book: « the End of Brienfness in Derayat al-Ijaz »wich depended on showed the graphic imag far the abbreviaton wich spoil the meaninig,and boring extension,wich annonced a new method of science of rethoric.

Key word :the lesson of the rhetorical-Miracles-fakhr al Din al Razi-al ijaz

[1] _المؤلف المراسل: بولحجار علي البريد الإلكتروني: **boulahdjaralidz25@gmail.com**

توطئة:

يعد علم البلاغة من أشرف العلوم اللغوية وأبرزها، لاتصاله بكتاب الله، حيث بلغ درجة من النضج العلمي والذوق الرفيع عبر مراحل مختلفة تحددت من خلالها معالمه، وقعدت قواعده، وكملت غايته.

ولقد تجلت كل مرحلة من هذه المراحل عن كوكبة من العلماء المبرزين كان لهم الفضل والسبق في ظهوره كعلم مستقل له أسسه ومنهجه وضوابطه، حيث أبانت أولى مراحله عن ظهور بعض المصطلحات التي لم يقصد بها أصحابها التأصيل لهذا العلم، منهم أبو عبيد معمر بن المثني(ت210هـ) من خلال كتاب "مجاز القرءان"، والفراء(ت207هـ) في كتابه "معاني القرءان".

انتقل علم البلاغة بعدها من التدوين وتسجيل الملحوظات على يد اللغوين إلى الجمع والتأليف على يد المتكلمين الذين نهلوا من العلوم الفلسفية والمنطق للرد على الخصوم و المشككين في إعجاز القرآن الكريم، وذلك في بداية القرن الثالث الهجري، ومن الأوائل الذين كان لهم الفضل في ظهوره الجاحظ(ت255هـ) من خلال بعض مؤلفاته منها "البيان والتبيين" الذي اهتم فيه بالكلام والمتكلم والمقام بطريقة تواصلية، ثم توالي التأليف من بعده، فكان" البديع" لابن المعتز(ت296هـ)، و"نقد الشعر" لابن قدامة(ت337هـ)، و"النكت في إعجاز القرءان" للرماني(ت386هـ)، وكتاب" الصناعتين" لأبي هلال العسكري(ت395هـ) و"إعجاز القرءان" للباقلاني(ت403هـ) وغيرهم، ومع ذلك لم تتضح أصوله وضوابطه حتى القرن الخامس الهجري بمجيء عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) واضع أصوله وضوابطه من خلال كتابيه" أسرار البلاغة" في علم البيان و"دلائل الإعجاز" في علم المعاني، حيث بلغ من خلالهما درجة عالية من الذوق والإحساس وأعطى صورة واضحة لاستقلاله عن باقي العلوم اللغوية، ثم تبعه الإمام الزمخشري(ت538هـ) في ذلك من خلال تطبيقاته على تفسيره " الكشاف".

بعد ما وصلت البلاغة ذروة الذوق علي يدي عبد القاهر الجرجاني ،ظهرت ملامح جديدة تعلن تغير الدرس البلاغي إلى صورة جديدة تأثرت بالمنطق، والفلسفة، والعلوم العقلية علي يدي مجموعة من علماء البلاغة منهم فخر الدين الرازي(ت606هـ) من خلال كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، الذي نحن بصدد دراسته وإلقاء الضوء عليه إذ جعل منه منطلقا إلى تأسيس المنهج التقعيدي لعلم البلاغة التي أصبحت عبارة عن قواعد مقننة ملخصة ومختصرة بعيدة عن الإطناب الممل و الإيجاز المخل من خلال اطلاعه على كتابي عبد القاهر الجرجاني وتلخيصهما، وهذا ما صرح به في بداية كتابه، ولهذا أردت أن أتلمس ملامح هذا الدرس البلاغي الجديد من خلال كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، هل هو _حقيقة_ امتداد للبلاغة الذوقية؟ وهل التزم الفخر الرازي بما صرح به في بداية كتابه أنه لخص كتابي عبد القاهر الجرجاني من غير إفاده من كتب أخرى؟ وما هي الإضافة التي أضافها إلى علم البلاغة؟ وهل حقيقة أصيبت البلاغة بالجمود في عصره ؟

أولا: التعريف بكتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز":

يعد كتاب" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز "من أهم مؤلفات الفخر الرازي[1]، وهو في علم البلاغة قال:" ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدهما ومقاصد فرائدهما وراعيت الترتيب مع التهذيب ...وسميته (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)..."[2]، الذي يعد مرحلة فارقة في التأليف لعلم البلاغة حيث انتقل به الفخر الرازي إلى تأسيس منهج جديد للدرس البلاغي اجتمعت فيه اللغة والمنطق والفلسفة متأثرا بغيره من الفلاسفة وأهل المنطق في زمانه، ولهذا نجد أن السبب في تأليفه للكتاب راجع إلى عدة مقاصد وغايات نذكر منها:

1 –شرف علم البلاغة لاتصاله بكتاب الله وقد صرح بذلك في كتابه حيث قال: "فإن أحق الفضائل بالتقديم وأسبقها في استيعاب التعظيم العلم الذي لا شرف إلا له وهو السبيل إليه...وهو علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي.. ثم ما لهذا العلم من الشرف الظاهر والنور الزاهر..."[3].

2–اعتبار البلاغة مدار الإعجاز حيث لم يجد ما يثلج صدره في هذا العلم غير كتابي عبد القهار الجرجاني صاحب الذوق الرفيع ومؤسس نظريتي علم البيان والمعاني، وقد صرح بهذا في كتابه بقوله:" الناس كانوا مقصرين في ضبط معاقده وفصوله متخبطين في إتقان فروعه وأصوله...إلى أن وفق الله الإمام مجد الإسلام عبد القاهر بن عبد الرحمان النحوي تغمده الله برحمته وأفاض عليه عيون مغفرته حتى استخرج أصول هذا العلم وقوانينه ورتب حججه وبراهينه..."[4].

3–كثرة الإطناب وعدم الإيجاز في كتب البلاغين القدماء عامة وكتابي عبد القاهر الجرجاني خاصة أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز حيث ذكر ذلك في مقدمة كتابه بعد الاعتراف بالسبق لعبد القاهر الجرجاني في علم البلاغة بقوله: "ولكنه رحمه الله –لكونه مستخرجا لأصول هذا العلم وأقسامه وشرائطه وأحكامه أهمل رعاية ترتيب الفصول والأبواب وأطنب في الكلام كل إطناب"[5].

وأما منهجه في الكتاب فقد ذكرت بعض الدراسات النقدية أنه انتقالا من الذوقية إلى التقعيد، والذي أصبحت البلاغة من خلاله عبارة عن قواعد نحوية وظيفية تعليمية تأثر الدرس البلاغي من خلالها.

مما لاشك فيه أن التحولات الفكرية في عصر من العصور لها الأثر البين في تغير وتجديد مناهج التأليف، بل هو حتمية علمية

---

[1]– ترجمة:هومحمد بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري، الطبرستاني الأصل ، الرازي المولد، الأشعري ، الشافعي، ولد سنة (544هـ–1149م) ، أخد العلم على يد والده ضياء الدين، وكمال الدين السمناني، والمجد الجبلي، من أشهر مؤلفاته"التفسير الكبير " و"نهاية الإيجلز في دراية الإعجاز"، أخد عنه العلم تاج الدين الأرموي،واثير الدين الأبهري، قال عنه زكريا القزويني"إمام الدهر وأعجوبة الزمان"، توفي رحمه الله في يوم عيد الفطر سنة (606هـ–1209م) انظر:تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى تح:عبد الفتاح محمد الحلو،محمود محمد الطناجي،ط1، 1383هـ، 1964م، 86/8، وزكريا بن محمد القزويني،آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت لبنان،377.

[3]–فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: تح بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط1،1985م،72.

[4]– المصدر نفسه ، 74.

[5]–المصدر نفسه، 75.

لتطور العلوم وتحديد الأفكار، ولهذا فالدراسة النقدية الموضوعية للكتاب عامة ولمنهجه خاصة تدفعنا لربط جميع العوامل والأسباب لبيان أثر هذا المنهج في الدراسات البلاغية، وهل حقيقة كان منهجا تقعيديا لا غير؟

فالناظر والمتمعن في الكتاب يدرك حقيقة أن منهج الرازي هو منهج تحليلي نقدي، فالمنهج التحليلي الذي انطلق فيه من الفكرة الأساسية وهي الإعجاز، ثم إلى الأفكار الجزئية التي بين من خلالها أن أصل الإعجاز في فصاحته، وأن البلاغة بعلومها ما هي إلا تمهيد وقاعدة لبيان هذه الفصاحة، انطلق بعدها في حديثه عن علمي البيان والمعاني للدلالة عليها، من خلال الدلالة اللفظية للمفردة، ثم للدلالة المعنوية، وأن المزية ليست في المفردة منفردة، ولا للمعنى، ولا للفظ، وإنما المزية للفظ والمعنى متصلين متناسقين، وهذا ما بدا واضحا في الانتقال إلى نظرية النظم التي أساسها النظام النحوي، واتحاد المعنى مع اللفظ المناسب، هذا الانتقال من الفكرة العامة وهي الإعجاز، ثم محاولة إعطاء مخطط انتقالي تفصيلي يدل عليها يعتبر منهجا منظما من خلال قواعد أعطت تسلسلا في فهم فكرة الإعجاز من خلال البلاغة في مؤلف واحد، وهذا ما لم نجده عند عبد القاهر الجرجاني الذي جعل لتفسير هذه الفكرة كتابين جمعهما الرازي في كتابه نهاية الإيجاز.

وأما المنهج الثاني فهو المنهج النقدي الذي اشتغل عليه في الرد على الرماني وعبد القاهر الجرجاني في بعض المسائل والعناوين من جهة، والرد علي الخصوم من جهة أخرى، وفي الأخير أعطى مثالا واضحا للدلالة على منهجه في الكتاب من خلال سورة الكوثر التي طبق عليها نظرية النظم .

ولهذا أقول: إن منهج الرازي هو منهج تكاملي جمع فيه بين النقد والتحليل من خلال ثقافته الواسعة في مختلف العلوم اللغوية والعقلية، والبيئة التي نشأ فيها، حيث إن هذا التنوع في العلوم جعله يقدم لنا منهجا اجتمت فيه الذوقية البلاغية التي استلهمها من البلاغيين وخاصة عبد القاهر الجرجاني ورشيد الدين العمري، وحسن التأليف والتنظيم من خلال العلوم العقلية التي اشتغل عليها في كتابه.

ثانيا: مظاهر تجديد الدرس البلاغي في كتاب" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز":

لم تتضح ملامح الدرس البلاغي منذ نشأته، إذ لم نجد اتفاقا واضحا حول مفهوم المصطلحات إلا بعد مجيء السكاكي(ت626هـ)، وبدر الدين بن مالك(ت686هـ)، والقزويني(ت739هـ)، حيث أصبحت البلاغة تعرف بعلومها الثلاث المعاني و البيان و البديع، وعلى هذا النهج سار علماء البلاغة من بعدهم، غير أن المتمعن في كتاب الرازي يدرك حقيقة أنه كان من الأوائل الذين مهدوا لهذا المنهج الجديد من خلال نظرته الفلسفية لعلم البلاغة، ولهذا أردنا أن نتلمس هذه المظاهر من خلال ما جاء في كتابه.

1_الفصاحة:

اتفق أهل اللغة على أن الفصاحة هي النقاء والابتعاد عن التنافر اللفظي والحوشي من الكلام قال ابن فارس:" (الفاء والصاد والحاء) أصل واحد يدل على خلوص الشيء ونقائه من الشوب وأفصح الرجل تكلم بالعربية وفصح جادت لغته حتى لا

يلحن"[1]. وهذا ما ذهب إليه الرازي في تعريفه للفصاحة قال: "خلوص الكلام من التعقيد"[2]، والملاحظ في هذا التعريف هو وجود تقارب بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي، إذ الغاية من الفصاحة خلوص الكلام ونقاؤه من الشوائب والتعقيد قال الرازي هو:" إيراد الكلام مجرد من القرائن الدالة علي مراد المتكلم وتلك القرينة إما مقالية كما في المجاز أو حالية كما في أخواته من الاستعارة والكناية"[3]، وهي عنده تتصل بالمعنى لقوله: "إن الإفادة اللفظية يستحيل تطرق الكمال والنقصان إليها. فإن السامع للفظ إما أن يكون عالما بكونه موضوعا لمسماه أو لا يكون. فإن كان عالما عرف مفهومه بتمامه. وإن لم يكن عالما به لم يعرف شيئا أصلا"[4]، ولهذا انضبطت الفصاحة عنده في أمرين:

1.1-"إن الفصاحة والبلاغة لا يجوز عودهما إلى الدلالة اللفظية"[5]، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "وهل قالوا: قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه: قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها"[6].

2.1-"إن الفصاحة وإن كانت غير عائدة إلى الدلالة اللفظية. لكن من الأمور العائدة إلى جوهر اللفظ وإلى دلالته الوضعية ما يفيد الكلام كمالا وزينة وجمالا ثم تعديد تلك الأمور وتفصيلها وتحصيلها" [7]، ولهذا قال السبكي: "ومال الإمام فخر الدين الرازي إلى أن الفصاحة راجعة إلى الألفاظ والمعاني"[8]، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "لا تخلو الفصاحة من أن أن تكون صفة للفظ محسوسة تدرك بالسمع. أو صفة معقولة تعرف بالقلب...وإذا كان كذلك لزم منه العلم بأن وصفنا اللفظ بالفصاحة وصف له من جهة معناه لا من جهة نفسه"[9] .

2_البلاغة:

قال ابن فارس:" (الباء والام والغين) أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء. تقول بلغت المكان. إذا وصلت إليه"[10]، وبلوغ الشيء هو الوصول إلى الغاية والمقصد، وهذا ما يريده البليغ من كلامه قال الرازي: "بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه. مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والإطناب الممل"[11] ، وهي كذلك عنده متصلة بالمعنى حيث أشار إلى هذا بقوله:" وأما البلاغة

1-ابن فارس:أبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي،معجم مقاييس اللغة،تح:إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط1 1420هـ 1999م، 2 /356.

2-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 89

3-المصدر نفسه،89.

4-المصدر نفسه،90.

5- المصدر نفسه،93.

6-عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز::تح:محمدالتنجي،دار الكتاب العربي،بيروت،ط3 ،1420 هـ.1999م ،53.

7-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،91

8-بهاء الدين السبكي عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح:تح:عبد الحميد هنداوي الدار النموذجية بيروت،ط1، 1423 ،2003م،92/1

9-دلائل الإعجاز،301

10- معجم مقاييس اللغة،156

11- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،89

العائدة إلى النظم والتركيب فتحقيق القول فيها: إن الكلام المنظوم لا محالة مركب من المفردات وتلك المفردات أمكن تركبها على وجه يفيد ذلك المعنى" [1]، حيث قسم هذا التركيب إلى ثلاثة مستويات أعلاها الإعجاز وأدناها لا قيمة له، أما أوسطها فمراتب غير متناهية أحسنها الفصاحة في النظم، قال :"إن مراتب البلاغة متباينة تكاد تكون غير متناهية واختيار أجودها يقتضي الفصاحة في النظم"[2]، ولهذا انضبطت البلاغة عنده في أمرين:

1.2_أسلوب المتكلم من خلال قوله :"بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه".

2.2_فصاحته قال "مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والإطناب الممل".

غير أن هذا التعريف لم يأت بجديد يذكر فقد سبقه إليه البلاغيون الأوائل منهم عبد القاهر الجرجاني، حيث ذكر في معرض الحديث عن الفصاحة والبلاغة قوله: "فضل بعض القائلين في بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا عن الأغراض والمقاصد. راموا أن يعلموهم ما في أنفسهم. فكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"[3]. ومما أوردنا ذكره في الفصاحة والبلاغة يجعلنا نحس أن الرازي لم يفرق بينهما كسابقيه، وما هي إلا مترادفات لم يتضح الفرق بينها، وبهذا يكون الرازي قد نحى منحى عبد القاهر الجرجاني في كتابيه.

3_علم المعاني:

لم نر للرازي عنوانا مستقلا لهذا العلم وإنما اتبع في ذلك سابقيه أمثال عبد القار الجرجاني وغيره واضع نظرية علم المعاني التي سماها نظرية النظم قال شوقي ضيف: "وواضح من ذلك أن عبد القاهر كان يرى أن علوم البلاغة علم واحد تتشعب مباحثه. وسمى في الدلائل علم المعاني باسم "النظم" وهو اصطلاح كان يشيع في بيئة الأشاعرة "[4] ، غير أن الرازي كان أكثر تنظيما في في كتابه، حيث خصص الجملة الثانية من كتابه لدراسة هذا العلم من خلال محاوره الكبرى التي أضاف إليها بعض المحسنات المعنوية التي أخدها عن رشيد الدين العمري(573ت) المعروف بالوطواط والتي ظهرت فيما بعد مع تقسيمات السكاكي، وبدر الدين بن مالك من مطابقة ومقابلة ومزاوجة واعتراض وغيرها، مما له اتصال بعلم المعاني.

3_1_ النظم:

قال الرازي: "إن النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلم"[5]، والملفت للنظر أن الرازي اعتمد في شرحه على ما قاله عبد القاهر في تعريفه لنظرية النظم بقوله: " وليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ..."[6] ، ولم يخرج عليه حتى أنه استشهد بنفس الشواهد ومثال ذلك في فساد النظم وفساد التأليف عند ذكر قول المتنبي:

1- المصدر نفسه ،91

2-المصدر نفسه،11.10

3-دلائل الإعجاز، 52.

4-شوقي ضيف ،البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف القاهرة، ط6،161 .

5-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 277.

6-دلائل الإعجاز، 77.

الطيب أنت. إذا أصابك.طيبه والماء أنت. إذا اغتسلت.الغاسل[1]

لم يكن ذلك إلا لخطئهم في التقديم والتأخير والحذف والإضمار وإقدامهم على ما لا يمكن تصحيحه بالأصول النحوية إلا بحيل دقيقة وإذا كان فساد النظم بسبب ترك العمل بقوانين النحو وجب أن يكون العمل بقوانينه معتبرا في صحة النظم وذلك هوا لمطلوب"[2]، والملاحظ هنا أن الرازي لم يأت بجديد وإنما نقل ما ذكره عبد القاهر في دلائل الإعجاز ثم قسم النظم إلى قسمين:

أ – تعلق الجمل بعضها ببعض وهنا لا يحتاج واضع النظم إلى إمعان النظر في استخراجه ومثاله:

سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره .بوجوه كالدنانير[3]

يقول الرازي: "فليس الحسن هنا لمجرد الاستعارة، بل لما في الكلام من التقديم والتأخير"[4]، فلو غيرنا النظام النحوي وقلنا "سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره فإنه يذهب الحسن والحلاوة"[5].

ب–تعليق الجمل بعضها ببعض وهنا كما ذكر الرازي" تظهر قوة الطبع، وجودة القريحة، واستقامة الذهن. وكلما كان أجزاء الكلام أقوى ارتباطا وأشد التحاما كان أدخل في الفصاحة"[6]، والمراد من خلال الكلام أن الألفاظ لا قيمة لها إن لم تعلق من خلال نظام نحوي يزيدها رونقا وجمالا ومثال ذلك قول بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[7]

إن الرازي لم يكتف بما ذكر عبد القاهر في دلائل الإعجاز بل أضاف قسما من المحسنات البديعية المعنوية التي أهملها عبد القاهر وغيره، متأثرا برشيد الدين العمري كما أشارنا سابقا حيث بلغت هذه الأوجه ثلاثة وعشرين وهي: المطابقة والمقابلة والمزواجة والاعتراض والالتفات والاقتباس والتلميح وإرسال المثلين واللف والنشر والتعديد والإيهام ومراعاة النظير والموجه المحتمل للضدين وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والسؤال والجواب والإغراق والجمع والتفريق والتقسيم والمتزلزل والتعجب وحسن التعليل.

3_2_التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير من الأساليب الفنية البلاغية والمزايا النحوية التي تهتم بالتراكيب اللغوية للكلام، حيث تضفي عليه ذوقا بلاغيا له دلالته على تمكن المتكلم من الفصاحة، والقدرة على التصرف في الكلام، ومن الأوائل الذين أشاروا إليه سيبويه بقوله:

---

[1]–ديوان المتنبي، أبي البقاء العكبري: دار صادر،بيروت، 1355 هـ، 178.
[2]–نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 279. 280.
[3]–دلائل الإعجاز، 71.
[4]–نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 284.
[5]–المصدر نفسه، 285.
[6]– المصدر نفسه، 28.
[7]–ديوان بشار بن برد:طبعة ابن عاشور مصر، 1950، 318/1.

"عندما يذكر الفاعل والمفعول :كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[1]، وعرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان"[2].

وأما الرازي فلم نجدله تعريفا خاصا غير أنه في معرض حديثه عنه ذكر الأقسام التي أشار إليها عبد القاهر الجرجاني وهي "تقديم ما يقال أنه على نية التأخير وتقديم مالا على نية التأخير"[3]، ثم انتقل إلى ذكر الأنواع ونظمها في إحدى عشر فصلا مع بعض شواهدها التي أشار إليها عبد القاهر من غير إضافات تذكر، إلا في الفصل التاسع الذي خالف فيه الجرجاني في مسألة تقديم حرف السلب على صيغة العموم وتأخيره عنها، حيث قال: "واعلم أن الشيخ الإمام جزم بأن نفي العموم يقتضي خصوص الإثبات. فقوله "لم أفعله كله " يقتضي أن يكون فاعلا لبعضه، وليس الأمر كذلك، إلا عند من يقول بدليل الخطاب بل الحق أن نفي العموم كما لا يقتضي عموم النفي لا يقتضي خصوص الإثبات "[4]، غير أن تنظيمه جاء محكما ومدققا على ما قدمه الجرجاني الذي ذكره مفرقا ما بين كتابيه.

3_3_الفصل والوصل:

أولى البلاغيون اهتماما كبيرا بالوصل والفصل، قال أبو هلال العسكري: "قيل للفارسي: ما البلاغة قال: الفصل والوصل...فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام"[5]، وعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها و المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة.."[6]، ولهذا عده الدارسون لفن البلاغة أنه أول من أبان عن أسرار الفصل والوصل وكشف أكمام أستاره. وأما الفخر الرازي فيري أن الفصل والوصل من أهم فصول علم البلاغة حيث قال: "هذا الموضع أعظم أركان البلاغة ...فلابد من تحقيق القول فيه فنقول: فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه..."[7]، حيث اعتبر الفصل والوصل ما هو إلا العطف بين المفردات والجمل مع حروف تفيد الاشتراك دون سواها من الحروف. والمتمعن فيما أورده في كتابه يلاحظ كما قال شوقي ضيف: "ونراه فيه يوجز إيجازا دقيقا كل ما ذكر عبد القاهر عن الفصل بين الجمل...ونراه يستشهد بآي الذكر الحكيم استشهادا يدل على اطلاعه بدقة على ما كتبه فيها الزمخشري بكشافه."[8] ولكن إذا نظرنا بروية

1-دلائل الإعجاز، 97.

2-المصدر نفسه، 96.

3-دلائل الإعجاز، 96.

4-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 314.

5-الصناعتين الكتابة والشعر،أبو هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل): تح:علي محمد البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، ط1، 1371هـ، 1952م، 438.

6-دلائل الإعجاز، 174.

7-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 321.

8- البلاغة تطور وتاريخ، 284.

مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 5 (رت 74) السنة: 2023

نجد أن الرازي أكثر دقة وتفصيلا، فالعطف عنده في المفردات يقتضي التشريك في الإعراب، وفي الجمل يقتضي أن تكون قوتها قوة المفرد "كقولك مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح فقد أشركت بين الجملتين في الإعراب وهو الجر بكونهما صفة للنكرة ليستدل به على التشريك، وأما الجمل التي لا تكون قوتها قوة المفرد فهي على قسمين: أحدهما أن يكون معنى إحدى الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الجملة الأخرى كالتوكيد والصفة لأنهما متعلقان بالموصوف فلا يجوز إدخال العاطف، ومثال ذلك قوله تعالى :﴿الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ فقوله "لا ريب فيه" تأكيد لقوله "ذلك الكتاب" وبمنزلة أن يقول: هو ذلك الكتاب، والأمثلة كثيرة في هذا الباب، وأما ما لم يكن هناك متعلقا بين الجملتين فهو على قسمين: أحدهما أن تكون مناسبة بين الجملتين وهنا يذكر العاطف، أو لا تكون فيترك العاطف، وأما الجمل الواقعة حالا وهي على ثلاثة أقسام: جمل لا تصلح فيها الواو، وجمل أخرى لا تصلح إلا مع الواو، وجمل تصلح أن يأتي فيها بالواو أو لا يأتي بها".[1]

3_4_الحذف:

بدأ مصطلح الحذف ضيقا مع سيبويه ثم اتسع عند الجاحظ غير أنه بقي مضطربا، حتى جاء عبد القاهر و وضع له ضوابطه حيث قال:" هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر يشبه السحر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن.."[2]. إن عبد القاهر بهذا التعريف ذكر ما أهمله الرازي في ما بعد حتى إنه لم يعط تعريفا واضحا في هذا الباب إلا حذف المفعولات رغم وجود أنواع كثيرة للحذف، ثم أشار الرازي على عبد القاهر في مواضع استحسنها في حذف المبتدأ حيث لم يذكر العلة بقوله: "أنه إذا أخبر عن مبتدأ موصوف بخبر ينصرف التكذيب به إلى الخبر وتبقي الصفة على أصل الثبوت"[3] ، مع أمثلة شعرية وبعض آي القرءان التي تناولها الزمخشري في تطبيقاته، وفي إيجاز نذكر أهم ما أشار إليه في هذا الباب:

أ-يحذف المفعول المعين لفظا من الأفعال المتعدية وذلك لبيان حال الفاعل، ولكون المقصود ذكره، ولكونه ظاهرا.

ب-يحذف المفعول غير المعين لفظا وتقديرا من الأفعال المتعدية فتصبح غير متعدية.

ج-عدم حذف مفعول المشيئة إذا كان أمرا عظيما حيث ذكر الرازي أنه يفضل العدول إلى التصريح في موضع الإضمار وذلك للفخامة كما في قوله تعالى﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ "فإنه لو ترك الإظهار إلى الإضمار فقيل ﴿وبالحق أنزلناه وبه نزل﴾ لم يكن فيه من الفخامة ما فيه الآن"[4].

3_5_الإيجاز:

هو مصطلح قديم لعلم البلاغة ثم لأحد فروعها، تعدد مفهومه عند البلاغين وكان من أحسنها وأشملها تعريف الرماني حيث قال: "الإيجاز بقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز و الإيجاز على ضربين، حذف وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال

[1]-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: 322، 333.

[2]-دلائل الإعجاز، 121.

[3]-المصدر السابق، 345.

[4]-المصدر نفسه، 344.

أو فحوى الكلام والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ، وتكثير المعنى من غير حذف"[1]، وأما ما ذكره الرازي في هذا الباب لا يفي هذا الموضوع حقه حيث عرفه تعريفا عاما ولم يبين أقسامه بقوله: "وحده: أنه العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال"[2] ، ثم أشار لأحد نوعيه وهو إيجاز القصر ولم يسمه من خلال ذكره للشاهد في الآية الكريمة في قوله تعالي:﴿ولكم في القصاص حياة ...﴾ الآية[البقرة 179] و المثل العربي "القتل أنفى للقتل"، حيث قال: "وكان الناس يضربون المثل بقولهم" القتل أنفى للقتل "استحسانا له .فلما جاءت الآية تركوا ذلك"[3]، وهذا ما يجعلنا نحس أن للرازي ذوقا بلاغيا من خلال الإشارة إلى هذه الموازنة بين الآية والمثل العربي في تفضيل البلاغة القرآنية على البلاغة العربية.

4_البيان:

ترددت كلمة البيان ومعناها عند البلاغيين فقد كانت مرادفا للبلاغة، حيث ازدهرت علي يد الجاحظ من خلال كتابه الذي سماه "البيان والتبين"، الذي أشار فيه إلى معنى البيان بقوله:" اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى"[4]، وعرفه ابن رشيق القيرواني بقوله: "الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقله، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ولا يستحق البيان"[5]، ومع ذلك لم يكن علما مستقلا حتى جاء عبد القاهر وكان المؤسس الأول لاستقلال هذا العلم من خلال نظرية علم البيان، حيث بين أصوله وفروعه التي مهدت لبروزه كعلم مستقل ، ومن أحسن التعريفات لهذا العلم ما قاله السكاكي:" أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[6] ، حيث أصبح هذا التعريف أساسا لمن جاء بعده .

لم يهتم الرازي لهذا المصطلح فهو عنده مرادف لعلم البلاغة حيث أشار إليه عند ذكر شرف علم البلاغة بقوله:" فإن أحق الفضائل بالتقديم...لا سيما العلم الذي هو أرسخ العلوم أصلا وأسبقها فرعا وفصلا وأكرمها نتاجا وأنورها سراجا. وهو علم البيان..."[7]، ومع ذلك أشار إلى فروعه التي عرفت فيما بعد وجعلها في قواعد مضبوطة ومنظمة ضمن أحكام الدلالة المعنوية في القسم الثاني من الجملة الأولى وبهذا يكون أول من وضع المخطط التمهيدي لتقسيم علم البيان من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية، الذي اكتمل عتد السكاكي، وبدر الدين بن مالك، والقزويني فيما بعد.

---

[1]– النكت في إعجاز القرءان(ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، أبو الحسن علي بن عيسي الرماني: تح:محمد خلف الله، محمد زغلول سلام دار المعارف مصر، ط3 1976م، 76.

[2]–نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 347.

[3]–المصدر نفسه، 347.

[4]–البيان والتبين، الجاحظ(أبي عثمان عمر بن بحر)، تح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ، 1998م، 1 /76.

[5]–العمدة، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح :محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ،ط5، 1401هـ، 1981م، 1 /245.

[6]–مفتاح العلوم، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، 1407هـ 1987م، 162.

[7]–نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 72.

4_1_ التشبيه:

هو من أول الأساليب التي أشار إليها البلاغيون الأوائل منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى، والفراء، والجاحظ، حيث لم يفرقوا بينه وبين التمثيل، وإلى هذا ذهب الزمخشري وابن الأثير، غير أن عبد القاهر الجرجاني أبان عن الفرق بينهما بقوله:" وإذا عرفت الفرق بين الضربين فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل فأنت تقول في قيس بن الخطيم:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نورا

إنه تشبيه حسن ولا تقول تمثيل وتقول في قول ابن المعتز:

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

إنه تمثيل، لأن تشبيه الحسود إذا صبر عليه وسكت عنه وترك غيظه يتردد فيه بالنار التي لا تمد بالحطب متى تأكل بعضها بعضا مما حاجته إلى التأويل ظاهرة بينة"[1].

وأما الرازي فلم يتعرض لتعريفه وإنما ذكره وبينه من خلال ذكر أقسامه وما يتعلق بها حيث قال: "والنظر فيه يتعلق بالمتشابهين، والتشبيه، وما لأجله التشبيه..." [2]،والملاحظ في تعريف الرازي أنه نقل كل ما ذكر عبد القاهر الجرجاني في التشبيه، وهنا نلمح استعماله للمنطق في تقسيم التشبيه وأنه لا يدخل في باب الاستعارة والمجاز، ولكنه من باب التشبيه المضمر خلافا لما ذكره عبد القاهر الجرجاني، وقد تعرض الرازي لذكر أقسام التشبيه نوجز ذكرها كالآتي:

1.1.4-صفة المشبه والمشبه به والعلاقة بينهما:

قال الرازي: "إما أن يكونا محسوسين ،أو معقولين، أو المشبه معقول والمشبه به محسوسا، أو المشبه محسوسا والمشبه به معقولا وهو غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها[3]، ومن صوره أيضا أن يكون متعددا أو مركبا ،وأن يكون قريبا أو بعيدا، ثم بين علاقة الاشتراك بينهما بقوله: "لا يخلو إما أن يكون صفة حقيقية أو حالة إضافية، والأول لا يخلو إما أن يكون كيفية جسمانية ، أو صفة نفسانية. والأول لا يخلو إما يكون كيفية محسوسة أو لا تكون محسوسة فان كانت محسوسة، فإما أن تكون محسوسة أولا أو ثانيا. والمحسوسات الأول فهي مدركات السمع والبصر و والشم والذوق و اللمس"[4].

2.1.4- أغراض التشبيه:

قال الرازي: "هذا الغرض إما أن يكون عائدا إلى المشبه، أو المشبه به"[5] .

أ-الأغراض العائدة إلى المشبه:

1-أن يكون الغرض بيان إمكان وجوده أو بيان مقدار وجوده.

---

[1]-ينظر أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح:محمد الفاضلي ،الدار النموذجية، بيروت، ط$_2$، 1420هـ، 1999م، 73، 75.

[2]-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 188.

[3]-المصدر نفسه، 188،190.

[4]-المصدر نفسه، 196.

[5]-المصدر نفسه، 216.

2-أن يكون الغرض بيان حكم معلوم عائد على المشبه فالغاية منه إما توضيحه كما في تشبيه المعقولات بالمحسوسات وإما المبالغة كتشبيه الظل بالرمح لتصوير قصره وإما الإغراب بذكر صورة نادرة.

ب-الأغراض العائدة إلى المشبه به:

أن يصير المشبه به أصلا والمشبه فرعا، وهو ما يعرف بالتشبيه المقلوب أو المعكوس عند الإتيان بصورة المشبه به قوية وناصعة لإعلاء المشبه به فيصير أصلا عوض أن يكون فرعا ومثال ذلك قول ابن وهيب الحميري:

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

حيث جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأشهر وأتم وأكمل في النور والضياء من الصباح فاستقام له ذلك بحكم النية أي جعل الصباح فرعا وهو المشبه ووجه الخليفة أصلا وهو المشبه به[1].

4_2_الاستعارة:

تعد الإستعارة فنا من الفنون البلاغية، غير أنها لم تكن مصطلحا مستقلا في علم البيان، حتى جاء الجاحظ وكان من الأوائل الذين أشاروا إليها بقوله: "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[2]، وعرفها ابن المعتز فقال: "الاستعارة للكلمة بشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها"[3]، حيث جعلها من أنواع البديع إضافة إلى التجنيس والمطابقة، وعرفها عبد القاهر الجرجاني الذي عدها مرة مجازا لغويا بقوله:" اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي تدل الشواهد على أنه اختص به حين الوضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية"[4] وأخرى مجازا عقليا حيث قال :"الاستعارة كالكناية في أنك تعرف المعنى فيها عن طريق المعقول دون طريق اللفظ "[5] .

وأما الرازي في تعريفه للاستعارة فلم يكن ناقلا بل كان ناقدا ومحللا، حيث رد تعريف الرماني بشدة، ثم أظهر اضطراب عبد القاهر في تعريفاته كون الاستعارة مجازا لغويا أو عقليا. ذلك أنه عدها مجازا لغويا لأنه لابد من نقل المستلزم للمبالغة فيها ولهذا عرفها بقوله: "الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره، أو إثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه"[6]، وكذلك: "الاستعارة عبارة عن جعل الشيء الشيء أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه"[7]، ثم أعطى تسميات جديدة وتقسيما للاستعارة أكثر دقة وضبطا من عبد القاهر الجرجاني، حيث ذكر الاستعارة الأصلية والتبعية، والمرشحة والمجردة، والمكنية والتصريحية، والحسنة والقبيحة، وهذا لاعتبار أحد طرفيها، ثم تقسيما آخر لاعتبار ما يدرك بالحس والعقل إلى استعارة محسوس لمحسوس، أو

1-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 220.

2-البيان والتبين، ج1 /153.

3-البديع في البديع، أبو العباس عبد الله بن محمد بن المعتز، دار الجيل، ط1، 1410هـ، 1999م، 75.

4-أسرار البلاغة، 27.

5-دلائل الإعجاز، 321.

6-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 232.

7-المصدر نفسه، 232.

محسوس لمعقول، أو معقول لمعقول، أو معقول لمحسوس، وهو غير جائز إلا على التأويل في باب التشبيه ثم بختمها بالاستعارة التخييلية.

4_3_الحقيقة والمجاز:

يعد أسلوب الحقيقة والمجاز من الأساليب البلاغية المعروفة عند العرب قديما، حيث استعملوها بكثرة في أشعارهم ونثرهم قال الجاحظ: "وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه وبأشباهه اتسعت"[1]، وقد ظهر هذا المصطلح من خلال بعض مؤلفات القدماء منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى الذي سماه "مجاز القرءان"، والذي كان يقصد منه الوصول والتعبير عن معنى الآية، غير أن هذا المصطلح لم بعرف النور إلا على يد عبد القاهر الجرجاني من خلال تعريفاته وتقسيماته التي سار عليها البلاغيون فيما بعد، ومن أهم تعريفاته قوله: "المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجب أصل اللغة وصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا"[2]، ثم قسم الحقيقة والمجاز مع المفرد والجملة وبين أثر الزيادة والنقصان فيهما وله تعريفات أخرى .

وأما الرازي فلم يخرج عن هذا التعريف في بيان مفهومه للحقيقة والمجاز، ولهذا نجد في كتابه نفس التعريف الذي ذكره عبد القاهر، وحتى التقسيمات والشواهد، غير أنه خالفه في مسألة واحدة، وهي أن الجرجاني لا يشترط ظهور الفاعل في جميع صيغ المجاز العقلي، بل يكفي أن تلمحه من خلال الصيغ وأن لا تتكلف في استخراجه لأنك ستقع في التعسف، على عكس الرازي الذي يصر على ظهوره ويرفض جملة ليس فيها فاعل ظاهر يستقر الفعل عليه[3]. وفي إيجاز أذكر أهم التقسيمات التي اعتمد عليها الرازي في بيان حد الحقيقة والمجاز:

الحقيقة: فعيلة، بمعنى مفعولة من حق الله الأمر يحقه، بمعنى أثبته أو من حققته أنا إذا كنت على يقين وإنما سمي خلاف المجاز بذلك، لأنه شيء مثبت معلوم بالدلالة[4]، وتنقسم إلى قسمين:

الحقيقة في المفرد: كل كلمة أريد بها ما وقعت له من وضع واضع وقوعا لا يستند فيه إلى غيره[5]

الحقيقة في الجملة: كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه[6]

المجاز: "مفعل من جاز الشيء ويجوزه...أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا"[7].وهو نفسه التعريف الأول لعبد القاهر الجرجاني وينقسم إلى قسمين:

المجاز في المفرد: كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول [1] .

1-الحيوان، أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، الناشر مصطفي بابي الحلبي، ط$_1$، 1362هـ، 1943م، 5 /426.

2-أسرار البلاغة، 292.

3 -ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 178.

4- ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 167.

5- المصدر نفسه، 17.

6-المصدر نفسه، 17.

7-المصدر نفسه، 167.

المجاز في الجملة: كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأول [2].

ثم يعطي تقسيما آخر للمجاز نقلا عن عبد القاهر الجرجاني والذي عبر عنه بالمجاز في المثبت، وفي الإثبات وإليك تفصيله:

-المجاز في المثبت(المجاز اللغوي): اعتبره الرازي مجازا في المفرد وهو عنده أهم من الاستعارة وأن يكون مفردا أو في قوة المفرد[3].

-المجاز في الإثبات(المجاز العقلي): وهو مجاز في الجملة أو في الإسناد لأن صيغ الأفعال لا تدل على أعيان الفاعلين[4].

والملاحظ من خلال هذه التعريفات والتقسيمات أن الرازي لم يكن إلا ناقلا لما قدمه عبد القاهر الجرجاني ولم نلحظ أي جديد إلا ما عارض فيه الجرجاني في مسألة الفاعل.

4_4_الكناية:

تعد الكناية من المظاهر البلاغية في أساليب البيان، اعتنى بها علماء البلاغة وكثرت حولها المفاهيم، ولعل أقدم من أشار إليها أبو عبيدة، والجاحظ الذي عدها التعبير عن المعنى تلميحا لا تصريحا وإفصاحا كلما اقتضى الحال ذلك[5]. وأما ابن قدامة فقد عدها نوعا من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى وأطلق عليها اسم الإرداف[6]، وكذلك عدها أبو هلال العسكري مرادفة للتعريض بقوله: "الكناية والتعريض أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح"[7]، ومع ذلك بقي مفهومها مضطربا غير منضبط إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني وبين معالمها بقوله:" أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه ويجعله دليلا عليه."[8] .

وأما الرازي فقد عرفها بقوله:" اعلم أن اللفظة إذا أطلقت، وكان الغرض الأصلي غير معناها، فلا يخلو إما أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالا على ذلك الغرض الأصلي، وإما ألا يكون كذلك. فالأول هو الكناية، والثاني هو المجاز"[9]، فالكناية عنده أبلغ من الإفصاح، وأنها ليست من المجاز. وأما تقسيمه للكناية في بداية حديثه فقد كان المقصود منه كناية النسبة التي يراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

5_علم البديع:

هو أحد علوم البلاغة الثلاثة، حيث كانت بدايات ظهوره كفن على يدي عدد من الشعراء العباسيين اشتهروا بالمحدثين أصحاب البديع، ومن الأوائل الذين أشاروا إليه الجاحظ قال :"والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل

1-المصدر نفسه، 172.

2-المصدر نفسه، 173.

3-المصدر نفسه، 171.

4-المصدر نفسه، 173.

5-الجاحظ، البيان والتبين، مقاربة ابستمولوجية، حريش نوال، ماجستير، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، 2008م، 2009م.

6-قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي أبو الفرج، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، 1302هـ،57 .

7-الصناعتين، 368.

8-دلائل الإعجاز، 66.

9-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 270.

لغة"[1] ثم عبد الله ابن المعتز في كتابه "البديع" وغيرهم من علماء البلاغة ، وبمجيء القزويني أصبح علم البديع علما مستقلا، وكان بدر الدين بن مالك أول من أطلق عليه اسم البديع قال: "البديع هو معرفة توابع الفصاحة"[2].

وأما الرازي فلم نجد له تعريفا خاصا به، وإنما هي إضافات جعلت الرازي أوسع وأدق وأشمل في سرد فنون البديع وتقسيمها إلى قسمين، أحدهما المحاسن والمزايا بسبب الألفاظ وهو خاص بعلم البيان، والآخر محاسن ومزايا بسبب النظم أو المعاني، وهذ ما لم نجده عند عبد القاهر الجرجاني الذي لم يلق علم البديع عنده كبير اهتمام إلا ما أشار إليه في كتابيه، كالجناس والسجع وحسن التعليل والطباق والمبالغة لأغراض بيانية لا أكثر.

فالرازي لم يضع قواعد جافة للمصطلحات بل حدد لها حدودا ابتعادا عن الموسوعية المرهقة التي كانت منهجا سائدا في تلك الفترة، والتي انصهرت فيها مناهج العلوم اللغوية والعقلية معا، وأصبحت الحاجة إلى الإيجاز وعدم الإطناب ملحة في مجال التأليف، ولهذا يعد الفخر الرازي بهذا التقسيم من الأوائل الذين قعدوا لعلم البديع من خلال ما نقله واستخلصه من كتاب "حدائق السحر في دقائق الشعر" لرشيد الدين العمري المعروف بالوطواط، والرماني، وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري وغيرهم، وقد ذكر الرازي في كتابه صنوفا من الألوان البديعية التي انضبطت عنده في أمرين :

أ_المعنى التركيبي للحروف من جهة الحذف والإثبات والموقع والمخرج.

ب_المعنى الدلالي من خلال هذا التركيب

ولبيان ذلك نذكر في إيجاز أهم هذه المحاسن والمزايا التي أشار إليها في كتابه:

5_1_المحسنات اللفظية:

سماها الرازي بقوله: "وأما المحاسن الحاصلة بسبب أمور عائدة إلى اللفظ"[3]، وهنا نجد الرازي يشير إلى الحروف من جهة مخرجها وإثباتها وحذفها كما هو الحال مع واصل بن عطاء في حرف الراء، ثم حال تركيبها وهنا نراه يشير إلى التجنيس والاشتقاق، ورد العجز على الصدر، والقلب، والسجع، والتضمين المزدوج، والترصيع، وكلها مبنية على ظاهر تركيب الحروف وما تحدثه من دلالة في بناء الصورة البديعية.

5_2_المحسنات المعنوية:

قال الرازي: "وأما القسم الثاني: وهو الذي يكون الجمل المذكورة متعلقا بعضها بالبعض. وهناك يظهر قوة الطبع، وجودة القريحة واستقامة الذهن، وكلما كان أجزاء الكلام أقوى ارتباطا وأشد التحاما، كان أدخل في الفصاحة"[4].

فالرازي في ذكره للمحسنات المعنوية يشترط فيها صحة النظم، وذلك من خلال تعالقها وتلاحمها، وهذا هو أصل حقيقتها، ومما أشار إليه في هذا القسم المطابقة، والمقابلة، والمزاوجة، والاعتراض، والالتفات، والاقتباس من القرآن، والتلميح وإرسال

---

[1]-الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ،1998م، 55/4

[2]- بدر الدين بن مالك ،المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: عبد الجميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م .192

[3]-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 48.

[4]-المصدر نفسه.

المثلين، واللف والنشر، والتعديد، وتنسيق الصفات، والإيهام، ومراعاة النظير، والمدح الموجه، والمحتمل للضدين، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، والسؤال والجواب، والإغراق في الصفة، والجمع والتفريق والتقسيم، والمتزلزل، والتعجب وحسن التعليل.

خاتمة:

ومن جملة النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لكتاب" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" للفخر الرازي الآتي:

1-يعد كتاب نهاية الإيجاز امتدادا لتطور التأليف البلاغي في مرحلة من المراحل، من خلال التنظيم المحكم للمفردات والمصطلحات والتبويب الذي غير الصورة النمطية للمنهج الموسوعي في التأليف.

2- كتاب "نهاية الإيجاز" لا يعد تلخيصا بل إعادة قراءة وتجديد للمواضيع البلاغية من خلال اتصالها بالعلوم والمناهج الأخرى كالمنطق و الفلسفة ومختلف العلوم العقلية.

3- تبقي المعرفة تراكمية يكمل بعضها بعضا، ولهذا يحق للرازي أن يبني رؤيته الجديدة في النقد والتأليف على ما ألفه السابقون كعبد القاهر الجرجاني وغيره، وهذا ما نسميه بالمنهج التاريخي لحياة العلوم.

4- لم يبتعد الرازي عن أصل البلاغة الذوقية، وذلك من خلال نقده لبعض ما جاء به عبد القاهر الجرجاني والرماني، بل أعطى للذوق البلاغي صورة أخرى من خلال إضافتة لبعض الصور البديعية اللفظية والمعنوية لعلم المعاني والبيان، ودراسة المفردة من الناحية الصوتية والدلالية .

5- أقول: إن الفخر الرازي أسس لتقسيم جديد لعلوم البلاغة استلهمه منه الذين جاؤوا من بعد، وخاصة علم البديع الذي تأثر بمواضيعه من خلال كتاب حدائق السحر لرشيد الدين العمري وهذا ما لم نجده عند عبد القاهر الجرجاني.

6- لم تصب البلاغة بالجمود في عصر الرازي، بل ازدهرت نتيجة لتطور العلوم، وما الرازي إلا حلقة فيها أسست لظهور السكاكي والقزويني وبدر الدين بن مالك الذين كانوا مفاتيح لاستقلال علم البلاغة عن باقي العلوم اللغوية بقواعده ومناهجه.

7-إذا كان عبد القاهر الجرجاني منظرا لإعادة مكانة الشعر بعد العزوف عنه، فإن الرازي كان من أعظم المنظرين للبلاغة القرآنية ذات الذوق الرفيع، فهو المفسر الكبير والباحث في أغوارها ومعانيها ومن أمثلة ذلك عقده للموازاة بين الآية القرآنية والمثل العربي.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1- ابن رشيق القيرواني(أبو علي الحسن الأزدي)، العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401هـ 1981م.

2- ابن فارس(أبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي)، معجم مقاييس اللغة، تح:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1420هـ، 1999م.

3- ابن المعتز (أبو العباس عبد الله بن محمد)، البديع في البديع ، دار الجيل، ط1، 1410هـ، 1999م.

4- ابن منظور(جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، عبد المنعم خليل إبراهيم ،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1424 هـ، 2002م .

5- أبو البقاء العكبري، ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت، 1355 هـ.

6- أبو هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل)، الصناعتين الكتابة والشعر، تح:علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1371هـ، 1952م.

7-بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1 1422هـ،2001م

8- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح:عبد الحميد هنداوي الدار النموذجية، بيروت، ط1 1423هـ ،2003م.

9- تاج الدين السبكي طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناجي، ط1، 1383هـ 1964م.

10- الجاحظ(أبو عثمان عمر بن بحر)، البيان والتبين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ 1998م.

11- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، الحيوان: تح عبد السلام هارون، الناشر مصطفي بابي الحلبي، ط1 1362هـ 1943م.

12- الرماني (أبو الحسن علي بن عيسي)، النكت في إعجاز القرءان(ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، تح:محمد خلف الله محمد زغلول سلام دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.

13- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي)، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط2 1407هـ، 1987م .

14- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرةط6، 1119هـ.

15- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح:محمد الفاضلي، الدار النموذجية، بيروت، ط2، 1420هـ، 1999م.

16- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:تح:محمدالتنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1420 هـ، 1999م.

17- فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح:بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1 1985.

18- قدامة بن جعفر (أبو الفرج بن زياد البغدادي): نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، 1302هـ .

19- القزويني (زكريا بن محمد) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت لبنان .

20- ديوان بشار بن برد، طبعة ابن عاشور مصر، 1950 م.

الرسائل الجامعية:

21- حريش نوال، البيان والتبين للجاحظ، مقاربة ابستمولوجية، ماجستير، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، 2008م 2009م.